

أضواء البيان

@ 24 @ يَصُدُّ نَزْلَهُ عَنَّا مَنِ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى {
أي لا يصدنك من لا يؤمن بالساعة عن الإيمان بها ، فتردى : أي تهلك لعدم إيمانك بها ،
والردى الهلاك ، وهو هنا عذاب النار بسبب التكذيب بالساعة ، وقد قال تعالى : { وَمَا
يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } وقوله تعالى في آية طه هذه : فتردى ، يدل
دلالة واضحة على أنه إن صده من لا يؤمن بالساعة من التصديق بها ، أن ذلك يكون سبباً
لرداه أي هلاكه بعذاب النار كما لا يخفى ، وكقوله تعالى : { وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ
مُحْضَرُونَ } فأية الروم هذه ، تدل على أن الذين كذبوا بلقاء الآخرة وهم الذين كذبوا
بالساعة معدودون مع الذين كفروا وكذبوا بآيات الله ، وأنهم في العذاب محضرون . وهو عذاب
النار . والآيات بمثل ذلك كثيرة . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } أظهر الأقوال فيه
عندي أنه متصل بما يليه ، وأن بل فيه للإضراب الانتقالي ، وقد أوضحنا معنى السعير مع بعض
الشواهد العربية في أول سورة الحج ، والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { إِذَا
رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا } . ذكر جل
وعلا في هذه الآية الكريمة : أن النار يوم القيامة ، إذا رأت الكفار من مكان بعيد : أي
في عرصات المحشر اشتد غيظها على من كفر بربها وعلا زفيرها فسمع الكفار صوتها من شدة
غيظها ، وسمعوا زفيرها . .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة بين بعضه في سورة الملك ، فأوضح فيها شدة غيظها
على من كفر بربها ، وأنهم يسمعون لها أيضاً شهيقاً مع الزفير الذي ذكره في آية الفرقان
هذه ، وذلك في قوله تعالى : { إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهَيَّ
تَفُورٌ * تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ } أي يكاد بعضها ينفصل عن بعض من شدة غيظها
، على من كفر بالله تعالى . .

وللعلماء أقوال في معنى الزفير والشهيق ، وأقربها أنهما يمثلهما معاً صوت الحمار في
نهيقه ، فأوله زفير ، وآخره الذي يردده في صدره شهيق . .

والأظهر أن معنى قوله تعالى : { سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا } أي سمعوا غليانها من
شدة غيظها ، ولما كان سبب الغليان التغيط أطلقه عليه ، وذلك أسلوب عربي معروف . وقال